

تفسير القرآن الكريم في الصحيفة الرضوية

م.د. محمود عبد الحسين عبد علي الثعالبي

كلية التربية / جامعة ميسان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى محمد الصادق الأمين وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين ، الإمام الرضا (عليه السلام) من العترة الطاهرة الذين أوصى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتمسك بهم بعده لأنهم عدل القرآن وأهله الذين لن يفترقا عنه ، ترك لنا الإمام الرضا (عليه السلام) رثاً ضخماً بما نقل عنه (عليه السلام) صحابته وتلامذته من دروس ومناظرات ومباحث في كافة العلوم الإسلامية في (علوم القرآن وتفسيره ، وعلم الكلام والعقيدة ، والفقه وأصوله ، والزهد والأخلاق وغيرها) ، ولا يزال هذا الكنز العلمي الكبير بعيداً عن أيدي القراء كغيره من أرث باقي الأئمة (عليهم السلام) ، فوجدنا في بعض هذا الإرث (الصحيفة الرضوية) التي جمعها ودققها العلامة الشيخ (جواد الأصفهاني) ولا سيما في مناظراته (عليه السلام) تفسيراً لعدد من آيات القرآن الكريم بياناً منه واحتجاجاً على الخصم ، فقمنا بهذه المحاولة البسيطة باستخراج هذا التفسير وجمع ما نقدر عليه رغم قلة المعرفة وضعف الأدوات العلمية من الأدلة العقلية والتقليدية والقرائن الدالة على أن تفسير الإمام هو التفسير السليم الوحيد هذه الآيات فهم أهل الذكر والقران الذين نزل في بيوتهم (عليه السلام) ، قال تعالى عنهم : ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (سورة النور: الآية / ٣٦) ، ولأن الخصم كان يناظر الإمام مشككاً في النبوة أحياناً وبمكانة أمير المؤمنين وسيدة نساء العالمين (عليهما السلام) وبأمامه باقي الأئمة (عليه السلام) كان تفسيره (عليه السلام) لهذه الآيات رداً واحتجاجاً منه على الخصم وحسب ترتيب رسول الله وأهل البيت (عليه السلام) ومنزلتهم العظيمة وعدد الآيات المفسرة لبيان هذه المنزلة ، كان بحثنا في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة ، فتناول المبحث الأول : ما ورد في منزلة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء (عليهما السلام) ، وضم ثلاثة مطالب : الأول : ما ورد في منزلة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : وكان هذا في فرعين : الأول :

في ذكر أسمه والقسم بنبوته (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والثاني : في أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أولى الناس بإمامة أبيه إبراهيم (عليه السلام) ، وكان المطلب الثاني : ما ورد في منزلة أمير المؤمنين (عليه السلام) : وضم أربعة فروع : كان الأول : في مساكنته (عليهم السلام) لرسول الله في مسجده (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والثاني : في أنه (عليه السلام) خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ووصيه ، والرابع : في أن إمامته (عليه السلام) من كمال الدين وتتمام النعمة ، والمطلب الثالث : ما ورد في منزلة فاطمة الزهراء (عليها السلام) : بأنها صاحبة فذك وأنها سيدة فرى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المفروض في القرآن وصلها وأيتائها حقها ، وتناول المبحث الثاني : ما ورد في باقي الأئمة (عليهم السلام) ، وشمل ثلاثة مطالب : كان الأول : ما ورد في وجوب طاعتهم وولايتهم (عليهم السلام) ، وضم فرعين : الأول : في وجوب إمامتهم (عليهم السلام) ، والثاني في وجوب طاعتهم وولايتهم (عليهم السلام) ، و كان المطلب الثاني : في ما ورد في عصمتهم وعلمهم (عليهم السلام) ، وضم فرعين : الأول : في عصمتهم (عليهم السلام) ، والثاني : في علمهم (عليهم السلام) ، والمطلب الثالث : كان في ما ورد في بعض ما خصهم الله به (عليهم السلام) ، وشمل ثلاثة فروع : الأول : كان في سلام الله عليهم في القرآن الكريم دون غيرهم من ذراري الأنبياء (عليهم السلام) ، والثاني : في فرض الله مودتهم على الناس أجراً على الرسالة الإسلامية ، و كان الثالث : في فريضة الخمس التي أختصهم الله بها (عليهم السلام) على سواهم من الخلق . والله المستعان وإليه القصد وعليه الثواب

التمهيد

ارتأينا ضرورة التمهيد للبحث ببيان جانبين :

الأول : بيان معنى (التفسير) لغة واصطلاحاً .

الثاني : ترجمة مختصرة للإمام الرضا (عليه السلام) وتعريف ب(الصحيحة الرضوية) .

الجانب الأول : المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة (التفسير) .

التفسير لغة : من الفسر ، والتفسير والتفسر بمعنى واحد ، هو الكشف والإيضاح والبيان (١) .

التفسير اصطلاحاً : له عدة تعريفات عند المفسرين منها : عرقه (الزركشي) بأنه العلم الذي ((يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة

(١) ينظر : الصحاح : للجوهري ، ٢ / ٧٨١ ، لسان العرب : لابن منظور ، ٥ / ٥٥ ، مختار الصحاح : للرازي ، ٢٦١ .

والنحو والتصرف وعلم البيان وعلم الفقه والقراءات ويحتاج المعرفة أسباب النزول والناسخ ((١)) ، وقال : (المحلي والسيوطي) هو الذي ((يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية)) (٢)، وعرفه السيد (الطباطبائي) بأنه : ((بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها)) (٣).

ومن التعريفات أعلاه يمكن أن نخرج بتعريف جامع لتفسير القرآن الكريم : هو فهم مراد الله من آياته من خلال معرفة معانيها بقدر الطاقة البشرية بدراسة السنة المطهرة والتبحر بعلوم اللغة العربية وعلوم الشريعة .

الجانب الثاني : ترجمة مختصرة للإمام الرضا (عليه السلام) وتعريف ب(الصحيفة الرضوية).

أولاً : ترجمة للإمام الرضا (عليه السلام) .

- ولادته (عليه السلام) .

وقع الخلاف بين الرواة في تاريخ ولادته (عليه السلام) ، والأشهر أنه ولد في الحادي عشر من ذي القعدة الحرام سنة (١٤٨هـ) (٤) ، في المدينة المنورة في حكم أبي جعفر الدوانيقي العباسي، بعد وفاة جده الإمام الصادق (عليه السلام) بأيام قليلة .

- نسبه (عليه السلام) .

هو الإمام الثامن من أئمة أهل البيت (عليه السلام) ، وهو أبو الحسن الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين السجاد بن الإمام الحسين شهيد كربلاء بن

(١) البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٠٤هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار أحياء الكتب العربية ، ط ١ / ١٩٥٧م - ١٣٧٦هـ ، ١ / ١٣ .

(٢) تفسير الجلالين : لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٨٦٤هـ) ، تحقيق : مراد سوار ، دار المعرفة / بيروت ، (د . ت) ، ٧ .

(٣) الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤١٢هـ) ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية / قم - إيران ، (د . ت) ، ١ / ٤ .

(٤) ينظر : الكافي : ١ / ٤٨٦ .

الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهما السلام) ، وجدته سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأمه (عليه السلام) هي السيدة الجليلة المكنات أم البنين وهي من أفضل نساء زمانها في العقل والعفة والدين ويقال لها : (نجمة ، وأروى النبوية ، وتكتم ، وسكن ، وخيزران المرسية) ، ولقبها (شقراء) .

- كنيته وألقابه (عليه السلام) .

يكنى : (عليه السلام) بابي الحسن ، وبابي الحسن الثاني، ومن أشهر ألقابه : الرضا ، والصابر ، والفاضل ، والوفي .

- نسائه وأولاده (عليه السلام) .

يظهر من الروايات أن له (عليه السلام) عدة نساء : سيدتهن السيدة (درة المرسية أو خيزران) تسمى أيضاً سبيكة وهي أم سيدنا الإمام الجواد (عليه السلام) جدة هذه السيدة أم المؤمنين مارية القبطية (رض) زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (١) ، وله (عليه السلام) (رحم) ، و (أم حبيب) بنت المأمون العباسي ، ومن أولاد له (عليه السلام) ستة ، خمس ذكور وأنثى : الإمام محمد الجواد (عليه السلام) ، والحسن ، وجعفر ، وإبراهيم ، والحسين ، وعائشة .

- عصره استشهاد (عليه السلام) .

عاش (عليه السلام) في فترة عصيبة جداً عليه وعلى الشيعة حتى قبل (عليه السلام) بولاية العهد مضطراً حفاظاً على أهل بيته وعلى الشيعة ، وكانت إمامته بقية حكم هارون العباسي عشر سنين ثم مات هارون سنة (١٩٣هـ) ، حكم الأمين تقريباً خمس سنين ثم خلعه المأمون وقتله وأخذ الحكم منه وأستمر حكمه عشرين سنة أستشهد (عليه السلام) مسموماً في حكم المأمون بعد أن عقد له الأخير ولاية العهد ومضى إلى جوار ربه (عليه السلام) وعمره (٥٥) سنة (٣٥) سنة في حياة أبيه (عليه السلام) وكانت مدة إمامته وخلافته بعد أبيه (٢٠) سنة ، قبض (عليه السلام) بطوس من خراسان في قرية يقال لها سنا باز في آخر صفر، وقيل في السابع عشر منه سنة (٢٠٣هـ) (٢) .

ثانياً : الصحيفة الرضوية .

هي صحيفة الإمام الرضا (عليه السلام) المعروفة ب (الصحيفة الرضوية) ، وتتضم (أدعية ، ومناظرات الإمام ، وكلماته القصار) ، قام بجمع هذه الأدعية والمناظرات والكلمات القصار للإمام (عليه السلام) ، العلامة

(١) ينظر : الكافي : ١ / ٤٨٨ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ١ / ٤٩٢ .

(الشيخ جواد القيومي الاصفهاني) من أشهر كتب الشيعة من كتاب كامل الزيارات (لابن قولوية) "ت٣٦٨هـ" وبحار الأنوار (للمجلسي) "ت١١١١هـ" وبإشراف مؤسسة النشر الإسلامي التابعة للجماعة المدرسية في قم المقدسة وسمّتها (الصحيفة الرضوية) ، ويمكن تقسم محتويات الصحيفة حسب ترتيبها فيها إلى :

١- أدعيته (عليه السلام) : وهي كثير جداً ، (دعائه بعد التسليم على النبي ، ودعائه للاستسقاء ، وأدعيه الشفاء : وهي كثيرة ومتنوعة باختلاف الأمراض ولأوجاع ، وأدعية كثيرة : لبعض أقاربه وأصحابه وشعرائه : وأدعية مختلفة لقضاء الحوائج وكشف الكرب والهموم ، وأدعية أخرى مختلفة) .

٢- مناظراته (عليه السلام) : وكانت مع علماء مختلف الطوائف من الصابئة واليهود والنصارى والمخالفين الأهل البيت من المسلمين وفي مختلف مباحث العقيدة : (في التوحيد، والنبوة، والإمامة ، والعدل الإلهي، والمعاد) .

٣- كلماته القصار (عليه السلام) : في مختلف مجالات الحياة (في الأخلاق ، العبادة ، والزهد ، المعرفة ، وغيرها) .

المبحث الأول

ما ورد في منزلة النبي وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء (عليهما السلام)

في ذكر أحد أسماء النبي والقسم بنبوته (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أولى الناس بإمامة أبيه إبراهيم (عليه السلام) ، وما أختص به أمير المؤمنين (عليه السلام) من مساكنته لرسول الله في مسجده (صلى الله عليه وآله وسلم) دون باقي أصحابه ، وأنه نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأمر الله تعالى ، وأن الإمام (عليه السلام) خليفة رسول الله ووصيه من بعده (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأن إمامته (عليه السلام) من كما الدين وتمام النعمة على المسلمين ، وأن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها السلام) هي سيدة قرى رسول الله التي أمر الله تعالى بحقها في لقرآن الكريم وهي صاحبة فذك ، لذا سيكون هذا المبحث في ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : ما ورد في منزلة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

المطلب الثاني : ما ورد في منزلة أمير المؤمنين (عليه السلام) .

المطلب الثالث : ما ورد في منزلة فاطمة الزهراء (عليه السلام) .

المطلب الأول

ما ورد في منزلة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

في ذكر أحد أسماء النبي والقسم بنبوته (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أولى الناس بإمامة أبيه إبراهيم (عليه السلام) ، وبيان ذلك في فرعين :

الفرع الأول : ذكر أحد أسمائه والقسم بنبوته(صلى الله عليه وآله وسلم).

- قوله تعالى : {يَس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (سورة ياسين : الآيات / ١-٤) ، جاء تفسير {يس} عن الإمام الرضا (عليه السلام) في مناظرته للمخالفين في مجلس المأمون عندما سُئل عن معناها فقال (عليه السلام) : ((محمد صلى الله عليه وآله وسلم))^(١) ، أي أنها من أسمائه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهذا المعنى تأكده الآيات التي بعدها من القسم بالقرآن الحكيم وغيرها من القرائن الأخرى فيكون المعنى : هو تأكيد لنبوته(صلى الله عليه وآله وسلم) ، وإنك يا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على الطريق الواضح والنهج الحق فلا تبالي بإنكار الكافرين لنبوتك : {إِنَّكَ * لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} ، كما أكد (الرازي) "ت٦٠٦هـ" إن إنكار الكافرين لنبوته (صلى الله عليه وآله وسلم) هو سبب نزول هذه الآيات^(٢) .

بينما اختلف مفسرو أهل السنة في معنى قوله (يس) الوارد في بداية الآيات المذكور فقال (الثوري) "ت١٦١هـ" : أنها من الحروف المقطعة^(٣) ، وكذلك قال (الثعالبي) "ت٨٧٥هـ" ونقل أيضاً عن ابن عباس إن معناها (يا إنسان) بالحبشية وعن قتادة إنها قسم^(٤) ، وأضاف (الرازي) للمعاني السابقة : أنها نداء معناه يا إنسان وتقريره أنها تصغير إنسان أي أنيسين فحذف الصدر وأكتفي بالعجز (يس) أي يا أنيسين^(٥) .

ونرى ما ذكره (الرازي) معنى غريب ومتناقض لان عجز أنيسين (سين) وليس (يس) ، كما أنه خلاف الأدب القرآني الذي ما دأب يكرم الإنسان في خطابه ويرفعه على باقي الأشياء ويفضله على كل مخلوقاته ، فقال تعالى : {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} (سورة الإسراء: الآية / ٧٠) ، فما بالك إذا كان الخطاب موجة لا كرم خلقه وخاتم رسله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقال (القرطبي) "ت٦٧١هـ" : أنها قسم ، ونقل أنها يا رجل أو يا إنسان^(٦) ، وفي تفسير الجلالين "ت٨٦٤هـ" : إن الله أعلم بمعناها^(٧) .

الفرع الثاني : أنه(صلى الله عليه وآله وسلم)أولى الناس بإمامة أبيه إبراهيم (صلى الله عليه وآله وسلم).

(١) الصحيفة الرضوية : جواد القيومي الأصفهاني ، تحقيق : مؤسسة جماعة المدرسين ، نشر : مؤسسة النشر الإسلامي

/ قم ، ط ١ / ١٤٠٨ هـ ، ٢٩٦ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ٢٦ / ٤١ .

(٣) ينظر : تفسير الثوري : ٢٤٨ .

(٤) ينظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن الكريم : ٥ / ٥ .

(٥) ينظر : التفسير الكبير : ٢٦ / ٣٩ .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٥ / ٥٠٤ .

(٧) ينظر : تفسير الجلالين : ٥٧٨ .

- قوله تعالى : { إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ } (سورة آل عمران : الآية / ٦٨) ، عن عبد العزيز بن مسلم عن الإمام الرضا (عليه السلام) في أحد مناظراته للمخالفين في مرو في تفسيره لهذه الآية ان الله تعالى بعد ما شرف إبراهيم (عليه السلام) وأكرمه بالإمامة قال : { إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا } (سورة البقرة : جزء من الآية / ١٢٤) ، ففرح بها إبراهيم وأرادها ان تكون في ذريته فقال (عليه السلام) : { وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ } (سورة البقرة : جزء من الآية / ١٢٤) ، فقال الإمام (عليه السلام) : ((فأبطلت هذه الآية أمامه كل ظالم إلى يوم القيامة ، وصارت في الصفوة ، ثم أكرمه الله تعالى ، بأن جعلها في ذريته ، أهل الصفوة والطهارة ، فقال : { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } (سورة الأنبياء : الآيات / ٧٢-٧٣) ، فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض ، قرناً فقرناً ، حتى ورثها الله تعالى النبي ، فكانت له (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة ((١) ، ويتضح من تفسير الإمام (عليه السلام) للآية انه (صلى الله عليه وآله وسلم) أولى الأنبياء بأمامه أبيهم إبراهيم (عليه السلام) من بعده فكيف بسائر الناس ولا سيما الظالم منهم .

في حين اختلف مفسري العامة في معنى هذه الآية فيرى (ابن أبي حاتم) "ت٣٢٧هـ" انه (صلى الله عليه وآله وسلم) أولى الناس بسنة ومنهج النبي إبراهيم (عليه السلام) (٢) ، بينما ذهب (النحاس) "ت٣٣٨هـ" ، وابن (عطية الأندلسي) "ت٥٤٦هـ" المقصود بها حنيفة إبراهيم (عليه السلام) (٣) ، وقال (ابن الجوزي) "ت٥٩٧هـ" انه الأولى بدين إبراهيم (عليه السلام) من غيره (صلى الله عليه وآله وسلم) (٤) .

المطلب الثاني

ما ورد في منزلة أمير المؤمنين (عليه السلام)

وما أختص به أمير المؤمنين (عليه السلام) من مساكنته لرسول الله في مسجده (صلى الله عليه وآله وسلم) دون باقي أصحابه ، وأنه نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأمر الله تعالى ، وأن الإمام (عليه السلام) خليفة رسول الله ووصيه من بعده (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وان إمامته (عليه السلام) من كما الدين وتمام النعمة على المسلمين ، وبيان ذلك في أربعة فروع :

الفرع الأول : مساكنته (عليه السلام) لرسول الله في مسجده (صلى الله عليه وآله وسلم) .

(١) الصحيفة الرضوية : ٢٥٠ .

(٢) ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ٥٩٥/ ٢ .

(٣) ينظر : تفسير معاني القرآن : ٤٨٩/ ١ ، و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٤٥١/ ١ .

(٤) ينظر : جامع البيان في علم التفسير : ٣٤٣/ ١ .

قوله تعالى : {وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} (سورة يونس: الآية /٨٧) ، وفي بيان منزلة أمير المؤمنين جاء في مناظرته (عليه السلام) للمخالفين في مجلس المأمون ذاكراً قصة أخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كل من كان سكن في مسجده (صلى الله عليه وآله وسلم) من الصحابة ما خلا الإمام علي (عليه السلام) ، وهذه خصوصية وكرامة للعترة الطاهرة ولاسيما سيدهم أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فقال (عليه السلام) : ((فأخرجاه الناس من مسجده ما خلا العترة ، حين تكلم الناس في ذلك ، وتكلم العباس ، فقال : يا رسول الله تركت علياً وأخرجتني ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ما أنا تركته وأخرجتكم ، ولكن الله تركه وأخرجكم وفي هذا بيان قوله لعلي (عليه السلام) : أنت مني بمنزلة هارون من موسى)) (١) .

ولما أعترض المخالفون وطالبوه (عليه السلام) ببرهان من القرآن الكريم على ذلك ، ذكر (عليه السلام) الآية أعلاه وفسرها لهم تبياناً للدليل قائلاً : ((ففي هذه الآية منزلة هارون من موسى ، وفيها أيضاً منزلة علي (عليه السلام) من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ومع هذا دليل ظاهر في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين قال : أن هذا المسجد لا يحل لجنب ولا لحائض إلا لمحمد وآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم))) (٢) .

بينما قال أغلب مفسري أهل السنة في تفسيرها عندما علم الفرعون بخبر النبي موسى (عليه السلام) وأتباعه أمر بتخريب مساجد بني إسرائيل ومنعوا من الصلاة فيها ، وقد كانوا يصلون في الكنائس ، فأمر الله إن يتخذوا بيوتهم قبلة ، واختلفوا في معنى القبلة فقال بعضهم : جعلوا منازلهم متقابلة حتى لا تتكشف صلاتهم لفرعون وقومه ، وقال بعضهم : أي اجعلوا بيوتكم قبلتكم في العبادة ، ونقل عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل وابن الضحاك والفراء : بل جعلوا بيوتهم تجاه القبلة - الكعبة - (٣) .

ونرى أن الذي ذكره متناقض في بيان معنى الآية ، فجعل بيوتهم متقابلة لا يحول دون معرفة العدو بإقامتهم للصلاة ، وجعل بيوتهم قبلتهم يؤدي إلى تعدد اتجاهات القبلة ومن ثم ضياع هبة معنى القبلة وعلتها التشريعية ، وجعل بيوتهم اتجاه الكعبة مخالف لعقيدة اليهود في بيت المقدس قبلتهم ، ومن ثم فإن كلامه (عليه السلام) هو التفسير الحق للآية الكريمة ، لان لفظة (مصر) الوارد في الآية ليس له مصداق واحد معين وهو المدينة المعروفة اليوم والواقعة في أعلى نهر النيل ، و إنما قيل سميت بذلك لان الذي بناها هو مصر بن نوح (عليه السلام) (٤) .

(١) الصحيفة الرضوية : ٢٨١-٢٨٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٨٢ .

(٣) ينظر : تفسير مقاتل (ت ١٥٠هـ) : ٢ / ١٠٢ ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن الكريم : للطبري (ت ٣١٠هـ) ، ١١ / ١٩٩ ، زاد المسير : لابن الجوزي ، ٤ / ٤٧ ، فتح القدير : للشوكاني (ت ١٢٥٥هـ) ، ٤٦٧ .

(٤) ينظر : لسان العرب : لابن منظور (ت ٧١١هـ) ، ٥ / ١٧٦ .

وإنما [مصر] لغة : من مصر يمصر ، وهو الحد بين أرضين ، والمصر : الكورة ، والجمع أمصار ، وقال الليث ، المصر : في كلام العرب كل كورة تقام فيها الحدود ويقسم فيها الفيء الصدقات^(١) ،

و[القبلة] : من القبل ، أي الوجه ، ويكون ظرفاً ويكون اسماً ، ويقال ما له في هذا الأمر قبلة ولا دبرة أي جهة ، وقبلت المكان استقبلته^(٢) .

وعلى ضوء تفسير الإمام (عليه السلام) تكون الآية أن يا محمد وعلي (عليكم من الله صلوات ورحمة) تبوءا بمصر - المدينة المنورة - وبيوتاً تكون قبلة - وجهة - واتجاه للناس في لتقي عقيدتهم وأحكامهم عن الله تعالى ، فاختار (صلى الله عليه وآله وسلم) المسجد النبوي المكان المقدس مركزاً للمسلمين الأخذ دينهم وفقاً لكلامه حرمة على الجنب والحائض ولا يكون أحق به غير من طهره الله من الرجس والإثم محمد وعلي وزوجته وذريتهم (عليهم السلام) ، وقال : {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} بالفوز والفلاح بإتباعكم .

الفرع الثاني : أنه (عليه السلام) نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

- قوله تعالى : {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ} (سورة آل عمران : الآية / ٦١) ، ولما حابه (عليه السلام) المخالفون لأهل البيت على مكانة أمير المؤمنين من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طالبين الدليل من القرآن الكريم لا سواه ، أستشهد (عليه السلام) بالآية المذكورة - أية الابتهاال - مستدلاً على مكانته (عليه السلام) وأنه نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأمر الله تعالى ومن كان هذا مكانه من رسول الله فهو أولى الناس بخلافة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعده .

ولما روى لهم الإمام الرضا (عليه السلام) قصة ابتهاال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأهل بيته - علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهما السلام) على نصارى نجران ، ثم سألهم (عليه السلام) : ((هل تدرون ما معنى قوله : وأنفسنا وأنفسكم ، قالت العلماء : عنى به نفسه ، قال أبو الحسن (عليه السلام) : غلطتم أنما عنى به علياً (عليه السلام) ، ومما يدل على ذلك قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حين قال : لينتهين بنو وليعه أو لا بعثن إليهم رجلاً كنفسي يعني علياً (عليه السلام) ، فهذه خصوصية لا يتقدمها أحد ، وفضل لا يختلف فيه بشر ، وشرف لا يسبقه إليه خلق ، إذ جعل نفس علي (عليه السلام) كنفسه (صلى الله عليه وآله وسلم)))^(٣) .

وذكر أغلب مفسري أهل السنة قصة محاجة نصارى نجران لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما دعاهم إلى الإسلام فقالوا نحن مسلمون قبلك ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : كذبتم ثلاث يمنعكم من الإسلام قالوا

^(١) ينظر : المصدر نفسه : ٥ / ١٧٦ - ١٧٧ ، مختار الصحاح : للرازي (ت ٦٠٦ هـ) ، ٢٢٠ .

^(٢) ينظر : المصدر نفسه ، ١١ / ٥٣٧ ، مختار الصحاح ، ٢٦٨ .

^(٣) الصحيفة الرضوية : ٢٨٠ .

ما هي قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : سجودكم للصليب ، وأكلكم لحم الخنزير ودعائكم أن الله ولد ، فقالوا أخبرنا عن أب عيسى (عليه السلام) فنزل قوله تعالى : {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (سورة آل عمران : الآية / ٥٩) ، فلما أصرروا في غيهم وعنادهم طلبهم (صلى الله عليه وآله وسلم) للمباهلة والابتهاال : من البهلة : أي الملاعنة : والعنة : الهلكة والعذاب^(١) ، وخرج لمباهلتهم ودعاء عليهم صاحباً أهل بيته علي وفاطمة والحسن والحسين (عليه السلام)^(٢) ، ومما يؤكد تفسير الإمام (عليه السلام) ما نقله (الواحدي) "ت٤٦٨هـ" عن الشعبي محمد وعلي (عليهما السلام)^(٣) ، و(السيوطي) "ت٩١١هـ" من رواية عن جابر الأنصاري (رض) أن قوله : {وَأَنْفُسَنَا} يعني : نفس علي بن أبي طالب (عليه السلام) نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٤) .

الفرع الثالث : أنه (عليه السلام) خليفته ووصيه من بعده (صلى الله عليه وآله وسلم) .

- قوله تعالى : {لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} (سورة البقرة : جزء من الآية / ١٢٤) ، ذكرنا سابقاً أن هذه الآية كانت في إمامة النبي إبراهيم (عليه السلام) وأنه فرح بها كثيراً فطلب من الله تعالى أن يجعلها في ذريته من بعده فرفض الله تعالى أن تكون في الظالمين فكانت في أكرم ذرية إبراهيم (عليه السلام) وسيد الخلق (صلى الله عليه وآله وسلم) وله خاصة كما عرفنا من تفسير الإمام لأية : {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ ..} ، لما سأله المخالفون عن دلالة آية {لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} في إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، بين (عليه السلام) أن عهد الله - الإمامة - لا يكون إلا في المعصوم ولما صارت إلى خاتم الأنبياء والمرسلين النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) سلمها إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وصيه وخليفته من بعده ، فقال الرضا (عليه السلام) : ((فقلدها (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه السلام) بأمر الله على رسم ما فرض الله فصارت في ذريته الأصفياء (عليهم السلام)))^(٥) .

وذكر أغلب مفسرو أهل السنة أن لفظ (الإمامة) الوارد في الآية يرد به مطلق الإمامة ، وبهذا فهي أسم لكل من يأتي به في الدين والمراد بالظالم هنا هو الكفر فلا ينالها الكافر ، وان الله تعالى لم يرفض أن يجعل الإمامة

(١) ينظر : مختار الصحاح ، ٤٣ .

(٢) ينظر : جامع البيان ، ٣ / ٤٠٨ - ٤١٠ ، أسباب النزول : ٦٨ - ٦٩ ، تفسير السمعاني : ١ / ٣٢٧ ، الجامع لأحكام

القرآن : ٤ / ١٠٤ ، تفسير الدر المنثور : ٢ / ٣٨ - ٣٩ .

(٣) ينظر : أسباب النزول : ٦٩ .

(٤) ينظر : تفسير الدر المنثور : ٢ / ٣٩ .

(٥) الصحيفة لرضوية : ٢٥٢ .

في ذريته (عليه السلام) لكنه شرف بها بعض ذريته من غير تعيين لهم بصفات مميز لهم عن جميع من عداهم^(١) .

إلا أن هذا الكلام يخالف العقل المنطق فإذا لم تكن العصمة هي المعيار في اختيار الإمامة وإن وله صفات خاصة تميز عن غيره ، فكيف اصطفى الله تعالى هؤلاء الأئمة من ذرية إبراهيم (عليه السلام) دون سواه من الخلق وهو العادل الحكيم ، وإلا سيكون من حق كل مسلم أن يدعي الإمامة لنفسه لانتفاء الكفر عنه ، غير أن معنى الإمامة عند الشيعة هي : منصب الهي وقيادة عامة في أمر الدين والدنيا ، ومن ثم فإن وظيفة الإمام (عليه السلام) هي تحقيق منهج الدين ، وإقامة الحكومة الإسلامية، وأجراء الحدود وإحكام الله ، وتطبيق العدالة الاجتماعية ، وتربية الأفراد في محتوهم الداخلي وسلوكهم الخارجي ، وإن الإمامة من المناصب الإلهية العالية لا تأتي إلا بعد اختبارات وابتلاءات صعبة كما بينها الإمام الصادق (عليه السلام) فقال : ((إن الله تبارك وتعالى أتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً وأن الله أتخذ نبياً قبل أن يتخذه رسولاً وأن الله أتخذ رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً وأن الله أتخذ خليلاً قبل أن يجعله أماماً فلما جمع له الأشياء قال أني جاعلك للناس أماماً فمن عظمها في عين إبراهيم قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين لا يكون السفيه أمام التقي))^(٢) .

ومن ثم فإن عند الشيعة هناك فرق كبير بين النبي والرسول والإمام ولكل واحد منها له دوره ووظيفته ، لا يسع بحثنا هذا بيان ذلك فمن أراد الاطلاع على هذا الفرق^(٣) .

الفرع الرابع : إمامته (عليه السلام) من كمال الدين وتمام النعمة .

- قوله تعالى : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } (سورة المائدة : جزء من الآية /٣) ، كما ورد في مناظرته (عليه السلام) للمخالفين في أحقية أمير المؤمنين (عليه السلام) بالولاية والإمامة بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وذكر (عليه السلام) إن هذه الآية نزلت في حجة الوداع وسبب نزولها هو تنصيب أمير المؤمنين (عليه السلام) للخلافة بعده (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال (عليه السلام) مبيناً : ((وأمر الإمامة من تمام الدين ، ولم يمض (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى يبين لامته معالم دينهم ، وأوضح لهم سبيلهم ، وتركهم على قصد سبيل الحق ، وأقام لهم علياً (عليه السلام) علماً وإماماً ، وما ترك لهم

(١) ينظر : مجاهد (ت ١٠٤هـ) : ٨٧ / ١ ، تفسير أبي زمنين : لابن أبي زمنين (ت ٣٩٩هـ) ، ١٧٥ / ١ ، تفسير النسفي : للنسفي (ت ٥٢٧هـ) ، ٦٩ / ١ ، أرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : لأبي السعود (ت ٩٥١هـ) ، ١٠ / ١٥٦ ، أضواء البيان : للشنقيطي (ت ١٣٩٢هـ) ، ٤٣ / ١ .

(٢) الكافي : لأبي جعفر محمد بن إسحاق بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ) ، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، دار الكتب الإسلامية / طهران ، ط ٥ / ١٣٦٣هـ ، ١٧٣ / ١ .

(٣) ينظر : الأمل في تفسير كتاب الله المنزل : للشيرازي ، ١ / ٣٦٦ ، تفسير الصافي : للكاشاني (ت ١٠٩١هـ) ، ١٧٦ / ١ .

شيئاً يحتاج إليه الأمة إلا بيّنه ، فمن زعم أن الله عز وجل لم يكمل دينه ، فقد رد كتاب الله ، ومن رد كتاب الله فهو كافر^(١) .

ذكر أغلب مفسرو أهل السنة إن هذه الآية نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم عرفة في حجة الوداع وأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) مات بعدها بإحدى وثمانين ليلة ، وقالوا أن أكمال الدين الوارد في الآية يعني الفرائض والسنن والجهاد والأحكام والحلال والحرام فلم ينزل بعد هذه الآية شيء ، وأما تمام النعمة بالهداية والتوفيق أظهار الإسلام على كل الأديان الأخرى بالنصر والغلبة وعلى المشركين بكسر شوكتهم وفتح مكة ، ورضي الله بالإسلام ديناً أي اختياره له تعالى على باقي الأديان بالمقبولية بالآخرة وإن لا يقبل ديناً سواه^(٢) .

وما يؤكد تفسير الإمام (عليه السلام) ما نقله (ابن كثير) "ت ٧٧٤هـ" عن أبي هريرة أنها نزلت في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عند منصرفه (صلى الله عليه وآله وسلم) من حجة الوداع ، والأخر : عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم غدير خم في حجة الوداع حين قال للإمام علي (عليه السلام) : من كنت مولاه فعلي مولاه^(٣) .

إلا أن (ابن كثير) لم يقبل بهذه الروايات وأخذ يشكك بهما وهذه عادته كغيره من المفسرين إذا الدليل الذي لا محيص عنه لجأوا إلى لعبة التشكيك بالأسانيد للفرار من الحق ، إلا أن السيد (الطباطبائي) "ت ١٤١٢هـ" ذكر الأعم الأغلب لأقوال مفسري العامة مع عدد من روايات الصحابة والتابعين ومناقشتها علمياً - عقلاً ونقلاً - فثبتت إن الآية نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحج الأكبر - حجة الوداع - في ولاية أمير المؤمنين إلا أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أخر تبليغها للناس خوفاً من عديم تصديقه (صلى الله عليه وآله وسلم) فأمره الله بتبليغها : يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ { (سورة المائدة : الآية ٦٧) فقام (صلى الله عليه وآله وسلم) وبلغ الناس ونصب أمير المؤمنين خليفة وإماماً للمسلمين من بعده (صلى الله عليه وآله وسلم) وكانوا في غدير خم بعد منصرفه من الحج إلى المدينة الموافق الثامن عشر من ذي الحجة^(٤) ، والمعروف عند الشيعة إلى اليوم بعيد الغدير .

المطلب الثالث

ما ورد في منزلة سيدة النساء (عليها السلام)

(١) الصحيفة الرضوية : ٢٤٨ .

(٢) ينظر : جامع البيان : للطبري ، ١٠٨ / ٦ ، معالم التنزيل : للبخاري (ت ٥١٠هـ) ، ١٠ / ٢ ، أنوار التنزيل وأسرار

التأويل : البيضاوي (ت ٧٩١هـ) ، ٢٩٤ / ٢ ، تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (ت ٧٧٤هـ) ، ١٥ / ٢ .

(٣) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ١٥ / ٢ .

(٤) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٩٣ / ٥ - ٢٠١ .

أن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها السلام) هي سيدة قري رسول الله التي أمر الله تعالى في القرآن الكريم بحقها وهي صاحبة فدك .

- قوله تعالى: {وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا} (سورة الإسراء : الآية / ٢٦) ، ورد أنها خصوصية خص الله تعالى بها أهل بيت النبوة وعلى رأسهم سيدة النساء فاطمة الزهراء (عليها السلام) فجاء عن الإمام الرضا (عليه السلام) في مناظرته للمخالفين في مجلس المأمون العباسي في تفسيره لهذه الآية فقال (عليه السلام): ((لما نزلت هذه الآية على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : أدعو لي فاطمة ، فدعوها له ، فقال : يا فاطمة ، قلت : لبيك يا رسول الله ، فقال : أن فدك لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، وهي لي خاصة دون المسلمين ، وقد جعلتها لكي كما أمرني الله به ، فخذوها لك ولولدك)) (١) .

بينما ذهب أغلب مفسرو أهل السنة أنها نزلت في صلة الأرحام من الوالدين والأهل والأقارب ، ثم تحدثت عن الفقير - المسكين - الذي لا يجد قوت يومه ومن ثم الضيف وواجب أكرامه وضيافته ثلاثة أيام وحرّم الله تعالى التبذير في المال أي صرفه في غير وجه حق ووضعه في غير موضعه فيكون بذلك المبذر أخو الشيطان (٢) ، ولم يذكروا صلة أهل بيت النبي وحادثه أعطائه (صلى الله عليه وآله وسلم) فدك لفاطمة الزهراء نحلة لها ، ألا ما أشار إليه (الثعلبي) أن قوله تعالى: {وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ} قال بعضهم : أنهم قرابته (صلى الله عليه وآله وسلم) (٣) .

وبين مفسرو الشيعة أن المخاطب بالآية هو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن الغرض منها هو وصل أقربائه (صلى الله عليه وآله وسلم) - أي أهل بيته - وعلى رأسهم بضعته سيدة النساء (عليها السلام) وأن فدك التي لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب والتي منحها (صلى الله عليه وآله وسلم) لابنته فاطمة الزهراء ، وهي مصداق خمس الغنائم أو غيرها مما يتعلق به الخمس ، وبصورة عامة هو تأدية كل الحقوق التي لهم في بيت المال (٤) .

وما لا يختلف عليه اثنان من المسلمين أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) معصوم وكما وصفه الله تعالى بقوله: {إِنَّهُ هُوَ الْوَحْيِيُّ يُوحَىٰ} (سورة النجم : الآية / ٤) ، فنرى أن ما نقله الإمام (عليه السلام) من إرسال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لسيدة النساء عند نزول الآية قوله لها (صلى الله عليه وآله وسلم) هو تفسير الآية للمذكورة وبيان ما فيها من أحكام وهي ظاهره في كلامه (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي :

(١) الصحيفة الرضوية : ٢٨٤ .

(٢) ينظر : تفسير ابن زمنين ، ٣ / ١٩ ، تفسير القرآن العظيم ، ٣ / ٣٩ ، تفسير الكشف والبيان ، ٦ / ٩٥ ، تفسير بحر العلوم ، ٢ / ٣٠٨ .

(٣) ينظر : تفسير الكشف والبيان ، ٦ / ٩٥ .

(٤) ينظر : التبيان : للطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ، ١ / ٤٦٨ - ٤٦٩ ، مجمع البيان : للطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) ، ٦ / ٢٤٣ ، تفسير الصافي ، ٣ / ١٨٦ ، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٨ / ٤٥٨ .

الحكم الأول - أن أرض فذك أختصها الله لنبيه فقط ، كما في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((هي لي خاصة دون المسلمين)) .

الحكم الثاني - أنها صارت بأمر الله إلى بضعته فاطمة الزهراء وهذه كرامة عظيمة لها (عليها السلام) يبينه تعالى للناس ، كما في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((هي لي خاصة دون المسلمين ، وقد جعلتها لكي كما أمرني الله به ، فخذوها لك ولولدك)) .

الحكم الثالث - أن فذك من حق ذريتها أيضاً (عليهم السلام) في حياتها كما أنها أرث لهم بعد استنهادها (عليها السلام) ، ظاهر في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((فخذوها لك ولولدك)) .

الحكم الرابع - الإحكام المذكورة مقيدة بالأرض المفتوحة بدون قتال - أي بدون خيل ولا ركاب - وهذا القيد ظاهر في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((أن فذك لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب)) .

من التفاسير السابقة لكلا الفريقين ومن القرآن الواضحة والجلية المذكورة ، فإن تفسير الإمام (عليه السلام) هو التفسير السليم ، كما نرى إن المعنى الراجح من تفسيره (عليهم السلام) لهذه الآية هو غير الظاهر منه - بيان حكم شرعي - ، وإنما الراجح هو تفسير عقدي لبيان مكانة سيدة النساء وعظمتها (عليهم السلام) عند الله وعند رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنها سيدة أقاربه ، أما توضيح حكم يتعلق بالخمس فقد بينته (آية الخمس) وهي (الآية /٤١ : من سورة الأنفال) .

وعلى ضوء كل ما تقدم يتبين لنا أن كل الآيات المفسرة في (الصحيحة الرضوية) هو تفسير بالمأثور عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) .

المبحث الثاني

ما ورد في منزلة باقي الأئمة (عليهم السلام)

ما ورد في وجوب طاعتهم كطاعة الله ورسوله وولايتهم (عليهم السلام) مقرونة بولاية الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وإنهم (عليهم السلام) معصومون مطهرون من كل دنس ورجس وأنهم معلمون بعلم الله وهم ورثة علم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وإن الله تعالى أختصهم وميزهم عن غيرهم من ذرية الأنبياء

بان سلم عليهم في القرآن الكريم وفرض مودتهم وحبهم على جميع الخلق أجراً على الرسالة المحمدية وجعل لهم الخمس خاصة لينزههم عن أوساخ الناس وصدقاتهم ، لذا سيكون هذا المبحث في ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : ما ورد في وجوب طاعتهم وولايتهم (عليهم السلام) .

المطلب الثاني : ما ورد في عصمتهم وعلمهم (عليهم السلام) .

المطلب الثالث : ما ورد في بعض ما خصهم الله به (عليهم السلام) .

المطلب الأول

ما ورد في وجوب إمامتهم وطاعتهم (عليهم السلام)

أهل البيت (عليهم السلام) أئمة بأمر الله في كتابه وعلى لسان رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأسمائهم في سنته ، فوجبت طاعتهم وولايتهم لأنها طاعة لله ولرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فالإمامة اختيار واصطفاء من الله تعالى وهي امتداد للنبوّة وليس لأحد الخيرة في ذلك قال تعالى : {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمَا لُخِيرَةٌ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا لَّا مُبِينًا} (سورة الأحزاب : الآية / ٣٦) ، فكان هذا المطلب في فرعين :

الفرع الأول : وجوب إمامتهم (عليهم السلام) .

- قوله تعالى : { وَرَبِّينَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ } (سورة العنكبوت: جزء من الآية / ٣٨) ، ((أن الإمامة هي منزلة الأنبياء ، وأرث أوصياء ، أن الإمامة خلافة الله وخلافة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ومقام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وميراث الحسن والحسين (عليهما السلام) ، أن الإمامة زمام الدين ، ونظام المسلمين ، .. أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه ، .. فأين الاختيار من هذا ، وأين العقول عن كنه هذا ، وأين يوجد مثل هذا ؟ أتضمنون أن هذا موجود في غير آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، كذبتهم والله أنفسهم ومننت الأباطيل ، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة باثرة ناقصة ، وأراء مضلة ، فلم يزدادوا منه إلى بعدا ، قاتلهم الله أنى يؤفكون ، ولقد راموا صعباً وقالوا أفكاً ، وضلوا ضلالاً بعيداً ، ووقعوا في الحيرة ، إذ تركوا الإمام عن بصيرة ، رغبوا عن اختيار الله واختيار رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته إلى اختيارهم : {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمَا لُخِيرَةٌ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا لَّا مُبِينًا} (سورة الأحزاب : الآية / ٣٦) ((١).

(١) الصحيفة الرضوية : ٢٥٢ - ٢٥٤ .

الإمامة لغة : من أمَّ يئم وتأمم به وأتم به أي جعله أمامه في الصلاة وغيرها، والإمام : كل من أتم به قوم سواء كان على حق أو على باطل ، والجمع : أئمة والقرآن الكريم :{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمًا...}(سورة السجدة : جزء من الآية /٢٤)(١) .

الإمامة شرع : عند الإمامية : هي لطف من الله تعالى كالنبوة والإمام ما للنبي من الولاية والرئاسة العامة على الناس في أمور الدين والدنيا لهديتهم وإرشادهم وقامة العدل بينهم ودفع الظلم(٢) .

وذهب مفسرو أهل السنة في تفسير هذه الآية إلى أن الكفار زين لهم الشيطان أعمالهم الخسيسة فصورها لهم أنها رفيعة أي حسنة وجميلة ، وصددهم عن (السبيل) : أي عن طريق الحق ، وكانوا (مستبصرين) قالوا : عارفين بالحق والهداية ، وقال آخرون : بل عرفوا الحق من الباطل بظهور البراهين والحجج(٣) .

الصراط : والصراط واحد هو: الطريق الواضح ، وقد ورد في التنزيل :{أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}(سورة الفاتحة : الآية /٦)(٤) .

والسبيل : أيضاً الطريق وما وضح منه يذكر ويؤنث ، وجاء في التنزيل :{..وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ}(سورة الأحزاب: جزء من الآية /٤)(٥) .

ومن ثم فكلاهما (الصراط ، والسبيل) بمعنى واحد ، وإذا تأملنا كلام أي مفسر من كلا الفريقين في معنى (السبيل) و(الصراط المستقيم) أي الصراط المنعوت بالمستقيم يتحصل لنا أن الصراط المستقيم هو الطريق المهيمن على جميع السبل - الطرق - المؤدية إلى الله تعالى والهادية إليه ، وأن (السبيل) هو أيضاً طريق موصل إلى الله يكون بمقدار يتضمنه (الصراط المستقيم) حقيقة ، ونلاحظ كذلك من تفسيرهم أن (الصراط المستقيم) هادياً موصلاً إلى الله مطلقاً ومن غير شرط أو قيد، أن لم يكونا (الصراط ، والسبيل) بمعنى واحد(٦) .

وعند مفسري الشيعة أن (الصراط المستقيم) هو أمير المؤمنين(عليه السلام) ، وأن قال عدد من مفسري أهل السنة أن (الصراط المستقيم) هو الدين ومنهج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أن أغلبهم ذهب كما ذكر(الطباطبائي) في تفسيره بأنه (علي بن أبي طالب) (٧) ، وفي روايات أهل البيت (عليهم السلام) أن أمير

(١) ينظر : لسان العرب : ١٢ / ٢٤ ، مختار الصحاح : ٢٢ .

(٢) ينظر : رسالة في الإمامة ، ٢-١ ، عقائد الإمامية ، ٦٥ .

(٣) ينظر : الجامع لإحكام القرآن : ١٣ / ٣٤٣ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٣١٧ ، تفسير أبي السعود : ٧ / ٤٠ ، تفسير الجلالين : ٥٢٥ .

(٤) ينظر : لسان العرب : ٧ / ٣١٢ ، مختار الصحاح : ١٩١ .

(٥) ينظر : المصدر نفسه : ١١ / ٣١٩ ، المصدر نفسه : ١٥٤ .

(٦) ينظر : التبيين : ١ / ٤٠ ، المحرر الوجيز : ٤ / ٣١٧ ، الجواهر الحسان : ٤ / ٢٩٤ ، أرشاد العقل السليم : ٧ / ٤٠ ، تفسير الجلالين : ٥٢٥ ، الأصفى : ١ / ٨٥ ، الميزان : ١ / ٢٨ ، الأمل : ١ / ٥٦ .

(٧) الميزان : ١ / ٣١ .

المؤمنين وأئمة أهل البيت هم (الصراط المستقيم) وهم كذلك (السبل) المذكورة في القرآن الكريم ، ومن هذه الروايات^(١) :

١- أمير المؤمنين هو (الصراط المستقيم) ، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : ((الصراط المستقيم أمير المؤمنين (عليه السلام))) .

٢- أهل البيت - الإمام علي والمعصومون من ذريته - (عليهم السلام) هم (الصراط المستقيم) ، عن السجاد (عليه السلام) قال : ((...نحن أبواب الله ونحن الصراط المستقيم ونحن عيبة علمه وتراجم وحيه ...)) .

٣- أهل البيت - الإمام علي والمعصومون من ذريته - (عليهم السلام) هم (السبيل) ، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : ((...كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه باب الله الذي لا يؤتى إلا منه ، وسبيله الذي من سلك بغيره هلك ، وبذلك جرت الأئمة (عليه السلام) واحد بعد واحد ، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بهم ، ...)) .

وعلى ضوء ما تقدم كله ، فإن تفسير الإمام (عليهم السلام) هو التفسير السليم للآية ، بلاضافة إلى ما قدمه (عليهم السلام) من عظمة الإمامة عند الله لأنها (منزلة الأنبياء ، وأرث أوصياء ، أن الإمامة خلافة الله وخلافة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكبر مكانتها في الإسلام لأنها (زام الدين ، ونظام المسلمين) ، وبعد هاتين المقدمتين بين (عليهم السلام) وجوبها وأن اختيار الإمام يكون بلطف من الله تعالى وليس الأحد من البشر التدخل في اختيار الإمام لأن هذا فوق عقولهم وإمكاناتهم ، قال تعالى : {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (سورة القصص : الآية / ٦٨) وذكر (عليهم السلام) أن الإمامة في أهل البيت بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : (أتضمنون أن هذا موجود في غير آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)) ، واستشهاده (عليهم السلام) ب(الآية / ٣٦ من سورة الأحزاب) ليؤكد (عليهم السلام) أن إعراض الناس وصدودهم عن اختيار الله واختيار رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأهل البيت (عليهم السلام) إلى اختيارهم هو ضلال وعصيان لله تعالى ولرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

الفرع الثاني : في وجوب طاعتهم وولايتهم(عليهم السلام) .

- قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} (سورة النساء : الآية / ٥٩) ، وكذلك هنا ميزهم الله تعالى عن سائر خلقه بفرض ولايتهم (عليهم السلام) على جميع البشر وقرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقد بين (عليه السلام) هذا الولاية والطاعة الواجبة لهم فقال : ((فبدأ بنفسه ، ثم برسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم بأهل بيته (عليهم السلام) وكذلك أية الولاية : {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ

(١) الكافي : ١ / ١٩٠ - ١٩٧ .

اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا} (سورة المائدة : جزء من الآية / ٥٥) ، فجعل ولايتهم مع طاعة لرسول مقرونة بطاعته ، كما جعل سهمه مع سهم الرسول مقروناً بأسهمهم في الغنيمة والفِيء ، فتبارك الله ما أعظم نعمته على أهل هذا البيت))^(١) .

أمرت الآية المؤمنين بثلاث طاعات ، فلأولى - (الله) : هي امتثال أوامره واجتتاب نواهيه ، والثانية - لرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : وهي أخذ بما أمر به (صلى الله عليه وآله وسلم) والانتها عن ما نهى عنه : {.. وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} (سورة الحشر: جزء من الآية / ٧)، والثالثة - للأولي الأمر، وقالوا مفسرو أهل السنة أن ولاية الأمر يجب أن يطاعوا في سبعة : ١- ضرب الدراهم والدنانير ، ٢- المكايل وللأوزان ، ٣- في تنفيذ الأحكام ، ٤- إمامة الحج ، ٥- في العيدين الفطر والأضحى ، ٦- إمامة الجمعة ، ٧- في أمر الجهاد والقتال ، وقالوا إذا نهى والي الأمر العالم من الإفتاء فأفتى فقد عصى وأن كان الولي هذا جائراً^(٢) .

إلا أنهم اختلفوا في تحديد من هؤلاء أولي الأمر الذين أمر الله تعالى بطاعتهم على عدة أقوال جمعها كل من (الطبري ، والقرطبي) في تفسيريهما^(٣) وأهمها :

١- قال أبو هريرة وقيس السهمي وميمون بن مهران هم : الأمراء والولاة .

٢- قول جابر بن عبد الله ومجاهد ومالك بن أنس هم : أهل العلم والقرآن الكريم .

٣- قول الضحاك وعطاء بن السائب والحسن هم : الفقهاء والعلماء في الدين .

٤- وقول آخر لمجاهد وآخرون معه هم : أصحاب رسول الله خاصة .

٥- وعن عكرمة تلميذ ابن عباس هم : أبو بكر وعمر .

وكل هذه الأقوال المذكورة كما نرى مردودة لان كل من هؤلاء المذكورين يحتاج في أطاعة حكمه وتنفيذ أمره إلى أن تتوفر في شخصه شروط تكون مرضية من الجميع المؤمنين كشرط (العدالة) ،

العدالة لة : من عدل يعدل ، والعاقل ضد الجائر، وهي الاستقامة^(٤) .

وفي الشرع : وهي هيئة راسخة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة جميعاً من فعل الواجبات واجتتاب المحرمات والمباحات القادحة في المروءة حتى تحصل الثقة في النفس وعدالته^(٥) .

(١) الصحيفة الرضوية : ٣٠٠ .

(٢) ينظر: تفسير السلمي : ١ / ١٥١ ، جامع الأحكام القرآن : ٥ / ٢٥٩ ، تفسير أبي السعود : ١ / ٢٢٩ ، الجلالين :

١١١ .

(٣) ينظر : جامع البيان : ٥ / ٢٠٤ - ٢٠٧ ، الجامع لإحكام القرآن : ٥ / ٢٥٩ - ٢٠٦ .

(٤) مختار الصحاح : ٢٢١ .

وغيرها ، وفي حكمه ورأيه أن لا يكون مخالفاً للقرآن الكريم والسنة النبوية وهذا يخالف إطلاق الآية ، وقد تكفل عدد من مفسري الشيعة في رد هذه الأقوال المذكور بالأدلة والعقلية والنقلية بما لا يحتاج معه إلى مزيد (٤) .

فلم يبق إلا تفسير الإمام (عليه السلام) هو التفسير السليم للآية وأن أئمة أهل البيت (عليه السلام) هم أولي الأمر المفروض طاعتهم في الآية والمقرونة مع طاعة الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأن ذكره (عليه السلام) لسهمهم في الخمس مقروناً مع الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) إشارة منه (عليه السلام) لمكانتهم الدينية العالية عند الله تعالى مما جعلهم امتداد لرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، كما إن استشهاد (عليه السلام) بأية الولاية من الأدلة الدامغة على ولايتهم ووجوب طاعتهم على المؤمنين ، فأن مفسري الإسلام من كلا الفريقين مجمعون على أنها نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) (٥) .

لأن اليهود والنصارى عندما قالوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لكل نبي وصي من بعده فمن وصيك بعدك نزلت هذه الآية لتبين هذا وصي رسول الله من جميع المؤمنين وقيدها {...وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (سورة المائدة: جزء من الآية / ٥٥) ، فخرج بهم (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المسجد فلقية المحتاج ولما سأله (صلى الله عليه وآله وسلم) عمن تصدق عليه بالخاتم أشار إلى أمير المؤمنين وأنه تصدق عليه (عليه السلام) وهو راکع في صلاة نافلة ، ولما سمع ذلك (صلى الله عليه وآله وسلم) كبر ثلاثاً وقرأ قوله تعالى : {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (سورة المائدة: الآية / ٥٦) ، وهذه الآية قرنت كما بين (عليه السلام) ولاية الإمام مع ولاية الله وولاية رسوله وإنها أقل ما تدل عليه هي عصمة هذا الوالي - الإمام (عليه السلام) - ومن أراد الاطلاع على أدلة العصمة فيها (٦) .

المطلب الثاني

ما ورد في عصمتهم وعلمهم (عليهم السلام)

بما أنهم (عليهم السلام) الأئمة والمرجع بعد رسول الله هذا يوجب عصمتهم عن الخطأ والزلل ، كما يوجب ووفور علمهم (عليهم السلام) ، قال تعالى : {وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ} (سورة يس: جزء من الآية / ١٢) حتى لا يحتاج المسلمون معهم (عليهم السلام) إلى شيء ، فكان هذا المطلب في فرعين :

(١) ينظر : أرشاد الفحول : ٥١ ، معجم ألفاظ الفقه الجعفري : ٢٨٥ .

(٢) ينظر : أسباب النزول : للواحدي ، ١٣٣ ، جامع البيان : للطبري ، ١٦٥ / ٦ ، التبيان : للطوسي ، ٥٥٩ / ٣ ، تفسير السلمي : للسلمي ، ١٨١ / ١ ، مجمع البيان : للطبرسي ، ٣٥٩ / ٣ ، الجامع الإحكام القرآن : للقرطبي ، ٦ / ٢٢١ ، ذخائر العقبى : لمحب الدين الطبري ، ٨٨ ، تفسير الجلالين : للسيوطي والمحلي ، ١٤٧ ، لباب النقول : للسيوطي ، ٩٠ ، تفسير أبي السعود : لأبي السعود ، ٢٨٩ / ١ ، كنز العمال : المتقي الهندي ، ٣٩١ / ٦ ، ١٠٥ ، تفسير فتح القدير : للشوكاني ، ٥٠ / ٢ ، الميزان : للطباطبائي ، ٥ / ٦ ، الأمثل : للشيرازي ، ٤٥ / ٤ .

(٣) ينظر : الميزان : ٨ / ٦ - ١٢ ، الأمثل : ٤٨ / ٤ - ٥١ .

الفرع الأول : في عصمتهم (عليهم السلام) .

- قوله تعالى : {..إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}(سورة الأحزاب : جزء من الآية / ٣٣) ، فقال (عليه السلام) : ((فصارت الورثة للعتر الطاهرة لا غيرهم ، والذين وصفهم الله في كتابه بقوله : {..إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ..} ، وهم الذين قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((أني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي - أهل بيتي - لن يفترقا حتى يرث علي الحوض ، أنظروا كيف تخلفوني فيهما ، يا أيها الناس لا تعلموهم فأنهم أعلم منكم))^(١) .. وهذه منزلة رفيعة وفضل عظيم وشرف عال ، حين عنى الله بذلك الآل .. وهذا الفضل الذي لا يجده معاند ، لأنه فضل بين حين ميز الله الطاهرين من خلقه))^(٢) .

العصمة لغةً : من عصم يعصم ، والعصم : المنع ، وعصمه : منعه ووقاه ، يقال عصمه الطعام ، إي منعه من الجوع ، والعصمة أيضاً : الحفظ ، والتنزيل : {قَالَ سَأُوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} (سورة هود : جزء من الآية / ٤٣) ، أي لا مانع ولا حافظ من أمر الله^(٣) .

العصمة اصطلاح : هي ((قوة قدسية ببصيرة ملكوتية ونورانية ربانية راسخة في النفس يحفظ بها صاحبها نفسه عن القبائح وإتيان كل ما في فعله انصراف عن الحق ونسيان المولى))^(٤) .

والمراد من المعصية التي ينزه المعصوم عن ارتكابها هي العمل الذي يطلق عليه في الفقه (الحرام) ، أو ترك العمل الذي يطلق عليه (الواجب) ، إما لفظة المعصية وما يراد منها أمثال الذنب فإنها تستعمل فيما هو أوسع من ذلك بما يشمل (ترك الأولى) وممارسة مثل هذه الذنوب التي تنافي العصمة ، بمعنى أنه لا يرتكب كبيرة ولا صغيرة ولا يخطأ ولا ينسى ولا يسهو لأن أي واحد من هذه تنافي العصمة وتجعل صاحبها غير واجب الإتيان في عمله ، ولهذا أستشهد الإمام(عليه السلام) في تفسيره للآية بحديث الثقلين لأنه من الأدلة على عصمة أهل البيت (عليهم السلام) ، وإلا لما قرنهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقرآن الكريم وجعل كلاهما المرجع بعده (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن قرائن ذلك :

١- القرآن الكريم معصوم ، قال تعالى : {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}(سورة فصلت : الآية / ٤٢) ، وما دام القرآن الكريم كذلك وعدلهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) به فهم مثله (عليهم السلام) .

(١) الكافي : ١١٣ / ٢ .

(٢) الصحيفة الرضوية : ٣٧٠ - ٣٧٨ .

(٣) ينظر : الصحاح : ٥ / ١٩٨٦ ، مختار الصحاح : ٤٣٧ ، لسان العرب : ١٢ / ٣٨٠ .

(٤) رسالتان في العصمة : الشيخ لطف الله الصافي ، دار القرآن الكريم / قم ، (د . ط) ، ١٤٠٣ هـ ، ٨٦ ، وينظر : دروس في العقيدة الإسلامية : اليزدي ، ٢٣١ .

(٤) أسباب نزول الآيات : لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ) ، مؤسسة الحلبي وشركاؤه / القاهرة ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م ، ٢٣٩ .

٢- افتراقهم عن القرآن الكريم بمعنى تركهم العمل به أو اختلافهم معه يدل على عدم عصمتهم وهذا لا يكون ، لان رسول الله أكد خلافة بقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((لن يفترقا حتى يرثي علي الحوض)) .

٣- هم مفسرو القرآن الكريم وأهله الذين نزل في بيوتهم وهذا ما بيّنه (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله : ((لا تعلموهم فأنهم أعلم منكم)) .

٤- ولما توفر فيهم (عليهم السلام) مما ذكرنا آنفاً من العصمة والعلم وأنهم عدل القرآن الكريم صاروا أحق الخلق بالإمامة و خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من بعده ، وهذا ما بيّنه الإمام (عليه السلام) ، بقوله : ((فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا غيرهم)) .

وقد يقال أن هذا التفسير غير صحيح لان نساء النبي من أهل البيت كما ذهب إلى ذلك عدد من مفسري أهل السنة ، ومما يؤكد أن تفسير الإمام (عليه السلام) هو التفسير الوحيد السليم للآية ما نقله (الواحدي) من عدة طرق أن الآية نزلت في الخمس : (رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليها السلام)) ، ونقل رواية مفصلة تثبت أن نساء النبي لسن من أهل البيت (عليه السلام) لان فيها إحدى نساء النبي وقالت له (صلى الله عليه وآله وسلم) عند نزول الآية وهو يدعوا لأهل بيته (عليه السلام) أنا معكم - أي من أهل بيتك - فقال لها (صلى الله عليه وآله وسلم) : أنك إلى خير، والرواية عن أم سليم زوج النبي وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيتها فقالت : ((أنته فاطمة رضي الله عنها ببرمة فيها خزيرة ، فدخلت بها عليه ، فقال : أدعي لي زوجك وأبنيك ، قالت : فجاء علي والحسن والحسين ، فدخلوا فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة ، وهو على منامة له ، وكان تحته كساء حبرى ، قالت : وأنا في الحجرة أصلي ، فأنزل الله تعالى هذه الآية {...إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...} ، قالت : فأخذ فضل الكساء فعشاهم به ، ثم أخرج يديه فألوى بهما إلى السماء ، ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، قالت : فأدخلت رأسي البيت وقلت : أنا معكم يا رسول الله ، قال : أنك الى خير ، أنك إلى خير)) (١) .

الفرع الثاني : في علمهم (عليهم السلام) .

- قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (سورة النحل : الآية /٤٣) ، قال (عليهم السلام) في تفسير هذه الآية : ((نحن أهل الذكر الذين عنى بقوله ، فقال العلماء : أنما عنى بذلك اليهود والنصارى ، قال (عليهم السلام) وهل يجوز ذلك ، اذا يدعوننا إلى دينهم ويقولون : أنه أفضل من دين الإسلام ، فقال المأمون : فهل عندك في ذلك شرح يخالف ما قالوا يا أبا الحسن ؟ فقال (عليه السلام) : نعم الذكر رسول الله ونحن أهله ، وذلك بيّن في كتاب الله بقوله في سورة الطلاق {... فَانْقُضُوا اللَّهُ يَا

أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ... (سورة الطلاق : جزء من الآيتين ١٠ - ١١) ، فالذكر رسول الله ونحن أهله ((١) .

كما نعرف أن للقرآن الكريم أسماء كثيرة تصل إلى أكثر من خمسين اسماً و (الذكر) واحد منها كما في قوله تعالى : {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (سورة الحجر: الآية ٩) ، وكما ورد عن أحد أئمة أهل البيت (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو (الذكر) الوارد في القرآن (٢) ، وأهل البيت (عليهم السلام) هم الذين نزل - الذكر - القرآن الكريم في بيوتهم التي وصفها الله تعالى بقوله : {فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} (سورة النور: الآية ٣٦) ، وقال أمير المؤمنين (عليهم السلام) : ((أنا القرآن الناطق)) (٣) ، فهم أهل القرآن - الذكر - ، وعُدله كما وصفهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (٤) .

وذكر (الواحي) أن سبب نزول الآية أن المشركين أنكروا نبوته (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالوا : الله أعظم من أن يكون نبيه بشر مثلنا ولا يكون ملكاً (٥) ، ونرى أن قول مفسرو أهل السنة أن (أهل الذكر) هم اليهود والنصارى (٦) ، هو لأخذ بخصوص السبب لا بعموم النص ، وهذا يفسركما نقلنا رد الإمام لقولهم ، مجيباً (عليه السلام) : وهل يجوز ذلك ، إذا يدعونا إلى دينهم ويقولون : أنه أفضل من دين الإسلام ، ويرى (الشيرازي) أن (الذكر) هو كل أنواع العلم والمعرفة والاطلاع (٧) ، وبما أن القرآن هو النموذج البارز في العلم والمعرفة ، ف(أهل الذكر) هم العلماء والعارفون في مختلف المجالات وأهل البيت (عليهم السلام) هم مصادق الأمثل والحقيقي لهؤلاء العلماء في ذلك العصر وكل عصر وهذا هو عموم النص المراد في الآية .

المطلب الثالث

ما ورد في بعض ما خصهم الله به (عليهم السلام)

أختصهم الله وميزهم على سائر خلقه بكثير من المزايا والخصائص ذكر الإمام منها ما خصهم الله تعالى به (عليهم السلام) عن أولاد الأنبياء قاطباً وهذه من أعلى الخصائص ، كالسلام عليهم في القرآن الكريم دون سائر ذراري الأنبياء (عليهم السلام) ، وجعل مودتهم على المسلمين أجراً للرسالة ، وفرض لهم خمس خاصة ، فكان هذا المطلب في ثلاثة فروع :

(١) الصحيفة الرضوية : ٣٠٣ - ٣٠٤ .

(٢) ينظر : بحار الأنوار ، ٣١ / ١٨٠ .

(٣) بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار : محمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ) ، مؤسسة الوفاء / بيروت ، ط / ٢ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، ٣١ / ١٧٣ .

(٤) المصدر نفسه : ٣١ / ١٧٥ .

(٥) أسباب النزول : ١٨٨ .

(٦) ينظر : جامع البيان : ١٤ / ١٤٤ ، تفسير القرآن العظيم : ٢ / ٥٩٢ ، تفسير الجلالين : ٣٥١ .

(٧) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٨ / ٢٠٠ .

الفرع الأول : السلام عليهم في القرآن الكريم .

- قوله تعالى :{سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ} (سورة الصافات : الآية /١٣٠)، قال الإمام (عليه السلام) : ((أعطى الله محمد وآل محمد من

ذلك فضلاً لم يبلغ أحد كنه وصفه لمن عقله ، وذلك أن الله لم يسلم على أحد إلا على الأنبياء صلوات الله عليهم فقال تبارك وتعالى : {سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ} (سورة الصافات : الآية /٧٩) ، وقال :{سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ} (سورة الصافات : الآية /١٠٩) ، وقال :{سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ} (سورة الصافات : الآية /١٢٠) ، ثم ذكر الآية (عليه السلام) ، وقال : يعني آل محمد ((١) .

وعليه بين الإمام (عليه السلام) في تفسيره للآية من فضائل أهل البيت (عليهم السلام) تحية الله عليهم وهي فضيلة لا يدانيهم فيها أحد من آل الأنبياء (عليهم السلام) فكيف بسواهم من البشر ، وعلى الرغم أن عدد من مفسري أهل السنة ذهب إلى أن المقصود بالآية ليس النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله (عليهم السلام) ، وإنما هو النبي (الياس) (عليه السلام) ويجوز إنه (الياس) (عليه السلام) مع أهل بيته وان (الياس) و(الياسين) واحد كما يقال : سينا وسينين (٢) .

ونرى أن هذا الكلام غير مقبول لأن (سيناء وسينين) ليستا بمعنى واحد حيث ورد كل منها في القرآن الكريم بمعنى مختلف فجاء (سينين) في قوله تعالى :{وَطُورِ سِينِينَ} (سورة التين : الآية /٢) وذكر (الطبري) في تفسيره أن أهل التأويل اختلفوا في معنى (طور سينين) وذكر أقوالهم فيها (٣) ، كما ذكر اختلاف أقوالهم في معنى (طور سيناء) التي جاءت في قوله تعالى : {وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدَّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْكَالِينَ} (سورة المؤمنون : الآية /٢٠) (٤) ، وعليه فإن كلام الإمام هو التفسير الصحيح للآية وقد أكد تفسيره (عليه السلام) عدد من مفسري أهل السنة بأن (آل ياسين) هم : (آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)) (٥) .

الفرع الثاني : وجوب مودتهم على المسلمين .

- قوله تعالى :{قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} (سورة الشورى : جزء من الآية /٢٣) ، كما هو معلوم أن فرض الله تعالى على الناس حب محمد وآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هي خصوصية له

(١) الصحيفة الرضوية : ٢٩٦ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٠ / ١١٢ ، زاد المسير : ٨ / ٢٧٥ ، تفسير الجلالين : ٨١٣ .

(٣) ينظر : جامع البيان : ١٨ / ١٨ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٣ / ٣٠٥ .

(٥) ينظر : تفسير بحر العلوم : ٣ / ١٤٤ ، تفسير أبين زمنين : ٤ / ٦٩ ، أنوار التنزيل : ٥ / ٢٦ ، الجواهر الحسان : ٥ .

٤٦ / ، التسهيل لعلوم التنزيل : ٣ / ١٧٥ .

(صلى الله عليه وآله وسلم) دون الأنبياء (عليهم السلام) ، وخصوصية لهم (عليهم السلام) دون غيرهم من آل الأنبياء (عليهم السلام) ، فالله تعالى قص قصص الأنبياء (عليهم السلام) وحكى إن أجرهم على الله مقابل تبليغ الدعوة إلى الناس ، فقال تعالى عن نوح (عليهم السلام) : { وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ... } (سورة هود : جزء من الآية / ٢٩) ، وعن هود (عليهم السلام) قال : { يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ } (سورة هود : الآية / ٥١) .

وأراد المهاجرون والأنصار أن يأجروا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على تبليغ الرسالة وهدايتهم إلى الإسلام فقالوا إن نبيكم تأتية الناس والوفود وتتوبه نواب وحقوق وليس في يده لذلك سعة فجمعوا من أموالهم أئمة (صلى الله عليه وآله وسلم) به وقالوا له استعن به على قضاء حوائجك فأذك سبب هدايتنا إلى الإسلام فنزلت هذه الآية ، وذكر (الواحدي) سبب آخر لنزولها أن المشركين قالوا أترون أن محمد يتعاطى أجراً على رسالته فنزلت الآية جواباً لهم (١) .

أما أجر الرسالة الإسلامية فكان مودة أهل البيت (عليهم السلام) وقد بين الإمام (عليه السلام) هذه المودة في تفسيره للآية قائلاً : ((ولم يفرض الله مودتهم إلا وقد علم أنهم لا يرتدون عن الدين أبداً ، ويرجعون إلى ضلالة أبداً ، وأخرى أن يكون الرجل واداً للرجل ، فيكون بعض أهل بيته عدواً له ، فلا يسلم قلب ، فأحب الله أن لا يكون في قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على المؤمنين شيء ، إذ فرض عليهم مودة ذا القربى ، فمن أخذ بها وأحب رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأحب أهل بيته (عليهم السلام) ، لم يستطع رسول الله أن يبيغضه ، ومن تركها ولم يأخذ بها وأبغض أهل بيت نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فعلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يبيغضه ، لأنه نرك فريضة من فرائض الله ، وأي فضيلة وأي شرف يتقدم هذا)) (٢) .

وفسر بعض أهل السنة (القراية) المقصودة في الآية هي استكفاف شر الكفار ودفع أذاهم عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) إي أسألكم المودة في قرابتي منكم وقد نسخت بأية السيف (٣) ، في حين ما ذكره البعض الآخر منهم كان تأكيداً لتفسير الإمام (عليه السلام) للآية فذكروا أن المهاجرين والأنصار سئلوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد نزولها عن قرابته المذكورين فيها فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : علي وفاطمة وأبناهما (٤) .

ونلاحظ من كل ما تقدم أن أغلب الآيات التي فسرهما أئمة أهل البيت (عليه السلام) جاء تفاسيرها عند أغلب مفسري أهل السنة تأكيداً لما بينه منها أهل البيت (عليه السلام) ، مما يثبت عظم منزلتهم (عليهم السلام) في تفسير القرآن الكريم .

(١) أسباب النزول : ٢١٥ .

(٢) الصحيفة الرضوية : ٢٨٨ .

(٣) ينظر : تفسير بحر العلوم : ٣ / ٢٣ ، أرشاد العقل السليم : ٨ / ٣٠ ، لباب النقول في أسباب النزول : ١٨٨ .

(٤) ينظر : معاني القرآن : ٦ / ٣٠٧ ، تفسير النسفي : ٤ / ١٠٣ ، الجواهر الحسان : ٥ / ١٥٧ .

إلا أن أناساً منهم لما سمعوا قول الله ورسوله في مودة أهل البيت (عليهم السلام) وفرضها عليهم قالوا ما حمل رسول على ترك ما عرضنا عليه إلا ليحثنا على قربته من بعده ، وإن هو إلا شيء أفتراه في مجلسه فكان ذلك منهم قولاً عظيماً أنزل الله بسببه قوله تعالى : {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} (سورة الأحقاف : الآية ٨) ، وقال (عليهم السلام) : ((فبعث إليهم الرسول الله فقال هل من حدث ن فقالوا أي والله يا رسول الله ، لقد تكلم بعضنا كلاماً عظيماً كرهناه ، فتلا عليهم رسول الله فبكوا وأشدت بكائهم فأنزل الله تعالى : {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} (سورة الشورى : الآية ٢٥ / ٢٥) (١) .

الفرع الثالث : فرض لهم الخمس .

- قوله تعالى: {وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ أَمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّنْفِيهِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (سورة الأنفال : الآية ٤١) ، وهذا الآية أيضاً تبين خصوصية أهل البيت (عليهم السلام) ميزتهم عن سواهم من أولاد الأنبياء ، ولما قرن الله سهم ذي قربي - أهل البيت (عليهم السلام) - بسهمه تعالى وسهم رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيكون تعالى بذلك قد فصل وميز بين أهل البيت (عليهم السلام) وبين وغيرهم من البشر .

فقال الإمام (عليه السلام) : ((الله جعلهم في حيز وجعل الناس كلهم في حيز دون ذلك ، ورضى لهم ما رضى لنفسه واصطفاهم فيه ، وابتدأ بنفسه ثم ثنى برسوله ، ثم بذى القربى في كل ما كان من الفيء والغنيمة وغير ذلك مما رضى عز وجل لنفسه ورضيه لنفسه وذكر الآية (عليه السلام) ، وقال : فهذا تأكيد مؤكد وأمر دائم لهم إلى يوم القيامة في كتاب الله الناطق : { لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } (سورة فصلت : الآية ٤٢) ، وأما قوله : { وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ } فأن اليتيم إذا انقطع يتمه خرج من المغنم ولم يكن له نصيب ، وكذلك المسكين إذا انقطعت مسكنته لم يكن له نصيب من المغنم ، ولا يحل له أخذه ، وسهم ذي القربى إلى يوم القيامة قائم فيهم للغني والفقير ، لأنه لا أحد أغنى من الله ولا من رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجعل لنفسه منها سهماً ولسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) سهماً ، فما رضى لنفسه ولسوله رضى له)) (٢) .

كما معروف أن الآية المذكورة سميت (أية الخمس) لأنها بيّنت مصدر مهم من مصادر بيت المال سمته الخمس : ومعناه واحد من خمسة - أي ١/٥ - من المال المشمول بهذه الضريبة ، وبيّنت الآية المال المشمول بالخمس وهو (الغنيمة) ، كما حددت أوجه صرف الخمس ، إلا أن مفسري أهل السنة اختلفوا في معنى (الغنيمة)

(١) الصحيفة الرضوية : ٢٩٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٩٨ .

ومصادقها المذكور في الآية ، كما ورد في تفسير الإمام(عليه السلام) للآية كلمة(الفيء) لذا يجب التفريق بين(الغنيمة والفيء) في اللغة والشرع - الاصطلاح - .

فالغنيمة لغة : من غنم يغنم ، والغنم : الفوز بالشيء من غير مشقة ، والغنم والغنيمة : المغنم ، الفيء ، وفي الحديث : ((الرهن لمن رهنه له غنمه وعليه غرمه)) وغنمه زيادته ونماؤه وفاضل قيمته ... وغنم الشيء غنما فاز به، وقيل أصل الغنيمة من الغنم ، ثم استعملوه في كل مظفور به من العدو وغيره^(١) .

أما الفيء لغة : من فاء يفيء وفيئاً وفيؤاً ، أي رجع وعاد إلى الأمر ، والفيء الغنيمة، وبما أن أصله اللغوي الرجوع ، فيكون المعنى أن مال الكفار والمشركين في الأصل للمسلمين فرجع إليهم^(٢) .

والغنيمة في الشرع : وهي كل حصل عليه المسلمون من أموال العدو في بالحرب والقوة^(٣) .

أما الفيء: هو كل ما حصل عليه المسلمون من العدو من غير حرب ولا جهاد^(٤) .

وذهب أغلب مفسري الإسلام إلا أنهما بمعنى واحد، ومن ثم فإن الغنيمة : تشمل كل أنواع الربح والزيادة في المال ، حتى قال (الطباطبائي) هي : ((كل فائدة تُستحصل عن طريق التجارة والكسب أو الحرب ، ومع أن سبب نزول الآية هو غنائم الحرب ، إلا أن ذلك لا يخصص مفهوم الآية وعموميتها))^(٥) .

ووزعت الآية الغنيمة إلى عدة أسم أولها الله تعالى ثم لرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن ثم قرياه وهم أهل بيته (عليهم السلام) كما بيّن الإمام ذلك ، أما ابتداء الآية بالله تعالى قال المفسرون : هو مفتاح كلام وسهم الله لرسوله ، وسهم (الليثامي) جمع يتيم وهو من مات أبوه ، وقال أهل اللغة : ويتيم الحيوان من ماتت أمه^(٦) ، وسهم (للمسكين) وأن فرق بعض المفسرون بين الفقير والمسكين إلا أنهم بمعنى واحد عند أكثرهم وهو : كل محتاج ولا سيما من لم يجد قوت يومه و(ابن السبيل) هو المنقطع الذي بعد عن ماله .

أما سهم (ذي القربى) فقد اختلف مفسرو أهل السنة في (القربى) فقال بعضهم : بني هاشم خاصة ، وقال البعض الآخر : كل قریش قري رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وذهب فريق منهم : إلى أن سهم

(١) ينظر: لسان العرب : ١٢ / ٤٤٦ ، مختار الصحاح : ٢٥١ ، تاج العروس : ٩ / ٢١٦ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ١ / ١٢٦ ، المصدر نفسه : ٢٦٧ ، المصدر نفسه : ١ / ٢١٣ .

(٣) ينظر : التبيان : للطوسي ، ٥ / ١٢٢ ، التفسير الكبير : للرازي (ت٦٠٦هـ) ، ١٥ / ١٦٤ ، مجمع البيان : للطبرسي ، ٤ / ٥٤٣ ، روح المعاني : للالوسي (ت١٢٧٠هـ) ، ١٠ / ٣ .

(٤) ينظر : الأحكام السلطانية : ١٤٢-١٤٣ ، التبيان ، ٩ / ٢٦٣ ، وتفسير القرآن العظيم : ٤ / ٣٥٤ ، أرشاد العقل

السليم ٨ / ٢٢٧ ، القاموس الفقهي : ٢٩١ ، معجم ألفاظ الفقه الجعفري : ٣٢٣-٣٢٤ .

(٥) الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤١٢هـ) ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة

العلمية / قم - إيران ، (د . ت) ، ٩ / ٨٩ .

(٦) ينظر : تاج العروس : ٩ / ٢١٨ .

الرسول يكون للخليفة من بعده ، وقال الفريق الآخر : سهم ذي القربى لقربى الخليفة^(١) ، وقال مفسرو الشيعة واستناداً لروايات كثيرة عن أهل البيت (عليه السلام) ومنها قول الإمام الصادق (عليه السلام) : ((أن الله تعالى لما حرم علينا الصدقة أنزل لنا الخمس ، فالصدقة علينا حرام والخمس لنا حلال))^(٢) .

فأن قربى رسول الله هم أولاد علي وفاطمة خاصة (عليهما السلام) وكذلك اليتيم والمسكين وابن السبيل من ذريتهما (عليهما السلام) وهم المقصودون في الآية وهذا ما بيّنه الإمام (عليه السلام) في تفسيره ، ولاسيما معنى القربى بأنهم الأئمة (عليهم السلام) ، وأن سهمهم باق إلى قيام الساعة ببقائهم (عليهم السلام) فسهم الله ورسوله لهم ومن أغنى من الله ورسوله وهو القائل : { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } (سورة البقرة : الآية/١٠٧) ، إلا أن تشريع الله تعالى للخمس له حكمة عظيمة في الإسلام ذكر (الشيرازي) في تفسيره صور عديدة لها^(٣) .

ومن كل ما تقدم ونلاحظ أن الآيات التي فسرهما الإمام (عليهم السلام) في (الصحيفة الرضوية) كلها وردت أثناء مناظراته للمخالفين ولم تكن في أدعيته ولا كلماته القصار، وعليه كان تفسيرها عقدي لبيان منزلة (رسول الله وأمير المؤمنين وسيد نساء العالمين والأئمة المعصومين من ذريتهم (عليهم السلام)) عند الله تعالى وفي الإسلام رداً على المخالفين والمشككين ، ولم يرد تفسير واحد لبيان حكم شرعي وحتى تفسيره (عليه السلام) الآية (ذي القربى) (الآية / ٢٦ : من سورة الإسراء) بينا ذلك في محلة من البحث .

- الخاتمة -

وبعد أن منّ الله علينا بإتمام هذا البحث المتواضع، نعرض لهم النتائج والتصورات المستخلصة منه :

الأولى : يتبين لنا من كل ما تقدم أن كل الآيات المفسرة في (الصحيفة الرضوية) هو تفسير بالمأثور عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) .

(١) ينظر : جامع البيان : ٣/ ١٠ ، الجامع لإحكام القرآن : ٨ / ١٠ ، تفسير السمعاني : ٢ / ٢٦٦ ، زاد المسير : ٣ / ٢٤٣ ، الدر المنثور : ٣ / ١٨٥

(٦) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة : محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ) ، تحقيق : مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام) ، ط/٢ ، ١٤١٤ هـ ، ٦ / ٧٤ ، باب الخمس .

(٣) ينظر : الأمل ، ٥ / ٤٤٠ - ٤٤٣ .

الثانية : كما أن أغلب الآيات التي فسرهما الإمام الرضا (عليه السلام) جاء تفاسيرها عند مفسري أهل السنة تأكيداً لتفسيره لها (عليه السلام) ، مما يثبت علو كعب أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في تفسير القرآن الكريم وهم عدل القرآن وأهله .

الثالثة : الآيات التي فسرهما الإمام الرضا (عليه السلام) في (الصحيحة الرضوية) كلها وردت أثناء مناظراته للمخالفين ، وكان تفسيرها عقدي ولم يرد تفسير واحد لبيان حكم شرعي وحتى تفسيره (عليه السلام) الآية (ذي القربى) بينا ذلك في محلة من البحث .

الرابعة : كان الغرض من تفسيره العقدي (عليه السلام) للآيات لبيان منزلة (رسول الله وأمير المؤمنين وسيد نساء العالمين والأئمة المعصومين من ذريتهم (عليهم السلام)) عند الله تعالى وفي الإسلام رداً على المخالفين والمشككين .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- كتب تفسير القرآن الكريم .
- ١- أسباب نزول الآيات : لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ) ، مؤسسة الحلبي وشركاؤه / القاهرة ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .
- ٢- أرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم : لابي السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ) ، دار أحياء التراث العربي / بيروت ، (د . ت) .
- ٣- أضواء البيان : لعبد الله بن محمد الشنقيطي (ت ١٣٩٢هـ) ، تحقيق ك مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر / بيروت ، (د . ط) ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
- ٤- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي تحقيق : السيد حسين الحسيني، مطبعة أنصاريات/ قم، ط/٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .
- ٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ناصر الدين بن سعيد البضاوي (ت ٧٩١هـ) ، مطبعة دار الفكر/ بيروت ، (د . ت) .

- ٦- لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين بن عبد ارحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، وضبط وتصحيح : أحمد عبد الشافي ، دار الكتب العلمية / بيروت ، (د .ت) .
- ٧- التبيان في تفسير القرآن : لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) ، تحقيق : احمد حبيب قصير العاملي ، مكتب الإعلام الإسلامي ، ط / ١ ، ١٢٠٩هـ .
- ٨- تفسير ابن زمنين : أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (ت ٣٩٩هـ) ، تحقيق : حسين بن عكاشة، ومصطفى الكنز، مطبعة الفاروق الحديثة / القاهرة ، ط / ١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
- ٩- تفسير بحر العلوم : أبي ليث نصر بن محمد إبراهيم السمرقندي (ت ٣٨٣هـ) ، تحقيق : د. محمود مطرجي ، مطبعة دار الفكر/ بيروت - لبنان ، (د . ت) .
- ١٠- تفسير الثوري : لأبي عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي(ت ١٦١هـ) ، تحقيق : جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية / بيروت ، ط / ١ ، ١٤٠٣هـ .
- ١١- تفسير الجلالين : لجلال الدين محمد بن احمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٨٦٤هـ) ، تحقيق : مراد سوار ، دار المعرفة / بيروت ، (د . ت) .
- ١٢- تفسير السمعاني : أبي المظفر منصور بن محمد السمعاني (ت ٤٨٩هـ) ، تحقيق : ياسر إبراهيم ، وعقيم بن عباس بن غنيم ، مطبعة دار الوطن / الرياض، ط / ١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
- ١٣- تفسير الصافي : محمد محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ) ، صححه وعلق عليه : حسين الاعلمي، الناشر : مكتبة الصدر/ طهران ، مطبعة مؤسسة الهادي/ قم ، ط / ٢ ، ١٤١٦هـ .
- ١٤- تفسير القرآن العظيم : عماد الدين ابي الفداء إسماعيل بن كثير(ت ٧٧٤هـ) ، تقديم : د. يوسف المرعشلي، الناشر : دار المعرفة / بيروت - لبنان ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- ١٥- التفسير الكبير: الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) ، تحقيق : د. عبد الفتاح أبو سنة وآخرون، مطبعة دار الكتاب / بيروت ، ط / ١ ، (د.ت) .
- ١٦- تفسير مقاتل : لمقاتل بن سليمان(ت ١٥٠هـ) ، تحقيق : احمد فريد، دار الكتب العلمية / بيروت ، ط / ١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
- ١٧- تفسير النسفي : لأبي البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي (ت ٥٢٧هـ) ، دار المعرفة / بيروت ، (د . ط) ، ١٤١٨هـ .
- ١٨- جامع البيان عن تأويل آي لقرآن : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، تقديم : خليل الميس ، ضبط وتوثيق وتخريج : صدقي جميل العطار، دار الفكر/ بيروت ، (د. ط) ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
- ١٩- الجامع لأحكام القرآن : أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، تصحيح : أحمد عبد الحليم البردوني ، الناشر : دار أحياء التراث العربي/ بيروت - لبنان ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م .

- ٢٠- الجواهر الحسان في تفسير القرآن الكريم : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف بن أبي زيد الثعالبي (ت ٨٧٥هـ) ، تحقيق : علي محمد عوض وآخرون ، دار أحياء التراث العربي / بيروت ، ط / ١ ، ١٤١٨ هـ .
 - ٢١- الدر المنثور للتفسير بالمأثور : جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، دار المعرفة / بيروت ، (د . ت) .
 - ٢٢- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني : شهاب الدين محمود الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) ، مطبعة دار أحياء التراث العربي/ بيروت ، (د . ت) .
 - ٢٣- زاد المسير في علم التفسير : أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق : حمد بن عبد الرحمن ، مطبعة دار الفكر/ بيروت - لبنان ، ط/١ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
 - ٢٤- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ، مطبعة عالم الكتب / بيروت ، (د . ت) .
 - ٢٥- الكشف والبيان : أحمد بن إسحاق الثعالبي (ت ٤٢٧هـ) ، تحقيق : محمد بن عاشور، مطبعة دار أحياء التراث العربي/ بيروت - لبنان ، ط/١ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م .
 - ٢٦- مجمع البيان في تفسير القرآن : لأبي علي الحسن بن فضل الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) ، تحقيق : لجنة من العلماء ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت ، ط / ١ ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
 - ٢٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبن عطية خالد بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ) : تحقيق : عبد السلام محمد ، دار الكتب العلمية / بيروت ، ط/١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
 - ٢٨- معالم التنزيل : أبو محمد الحسين بن مسعود اللبغوي (ت ٥١٠هـ) ، تحقيق : خالد بن عبد الرحمن العلك ، مطبعة دار المعرفة / بيروت ، (د . ت) .
 - ٢٩- الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤١٢هـ) ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية / قم - إيران ، (د . ت) .
- كتب السنة النبوية .
- ١- بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار: محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ) ، مؤسسة الوفاء / بيروت ، ط / ٢ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
 - ٢- الكافي : لأبي جعفر محمد بن إسحاق بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ) ، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، دار الكتب الإسلامية / طهران ، ط / ٥ ، ١٣٦٣ هـ .
 - ٣- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : علاء الدين بن علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥هـ) ، تصحيح : صفوت السقا ، مطبعة التراث الإسلامي/ بيروت ، ط/١ ، ١٣٩٧ هـ .
 - ٤- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة : محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ) ، تحقيق : مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام) ، ط/٢ ، ١٤١٤ هـ .

• المصادر والمراجع الأخرى .

- ١- الإحكام السلطانية والولايات الدينية : علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠هـ) ، تحقيق : فهمي السرجاني ، مطبعة المكتبة التوفيقية / مصر ، ط/١ ، (د . ت) .
- ٢- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول : محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٥هـ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة ، ١٩٣٧م .
- ٣- البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٠٤هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار أحياء الكتب العربية ، ط / ١ ، ١٩٥٧م - ١٣٧٦هـ .
- ٤- تاج اللغة وصحاح العربية : إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين / بيروت - لبنان ، ط / ٤ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ٥- تاج العروس من جواهر القاموس: محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق : علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر/ بيروت ، (د. ط) ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
- ٦- دروس في العقيدة الإسلامية : محمد تقي مصباح اليزدي ، مطبعة مؤسسة الآداب الإسلامية / قم ، (د . ت) .
- ٧- رسالتان في العصمة : الشيخ لطف الله الصافي ، دار القرآن الكريم / قم ، (د . ط) ، ١٤٠٣هـ .
- ٨- رسالة في الإمامة : الشيخ عباس حسين جعفر (ت ١٣٢٣هـ) ، الناشر مؤسسة الآفاق ، مطبعة بنكوتن / إيران ، ١٤٢٠هـ .
- ٩- الصحيفة الرضوية : جواد القيومي الأصفهاني ، تحقيق : مؤسسة جماعة المدرسين ، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي / قم ، ط / ١ ، ١٤٠٨هـ ، ٢٩٦ .
- ١٠- عقائد الأمامية : الشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٣٨١هـ) ، تقديم : د. حامد صفني داود ، مطبعة انتشارات أنصاريان / قم ، (د . ت) .
- ١١- القاموس الفقهي (لغةً واصطلاحاً) : د. سعدي أبو حبيب ، مطبعة دار الفكر/ دمشق- سوريا ، ط / ٢ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- ١٢- لسان العرب : أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ) ، الناشر: مؤسسة نشر آداب الحوزة / قم - إيران ، ١٤٠٥هـ .
- ١٣- مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت ٦٦٦هـ) ، مطبعة دار الكتاب العربي/ بيروت - لبنان ، (د . ت) .
- ١٤- معجم ألفاظ الفقه الجعفري : د. أحمد فتح الله ، مطبعة المدوخل / الدمام ، ط/١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

